

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه، أما بعد:
فإن الله سبحانه وتعالى، ابتلانا في هذا الزمان، بفتنة الوهابية، أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله وغفر الله لنا وله - الذي جمع أفكارا ودعا الناس إليها، معتقدا أنها أساس التوحيد والحق، وأن كل من خالفه كان مشركا كافرا، وإن دنا منه منزلة كان جاهلا، وجب إقامة الحجة عليه، واستتابته ومن ثم قتله إن لم يتبعه. وإن لم يقدر على إنزال عقوبة القتل به، هجره وقاطعة وأعلن مباغضته له.

وقد اتفق أن قرأنا كتاب التوحيد هذا، فما وجدنا غير آيات قرآنية وأحاديث شريفة، واستنباطات منها، عبارة عن رؤوس أقلام وعناوين، لا ترتقي إلى مستوى التحليل والشرح والفهم والتفصيل. فعجزنا عن فهم الكتاب، فضلا عن نقده والرد عليه، لأننا ما وجدنا شيئا يفهم من الشيخ ابن عبد الوهاب.

والحقيقة التي لا غبار عنها، أن الشيخ ابن عبد الوهاب كان قد استعمل أسلوبا فريدا في الكتابة، لا سابقة له في التأليف التي تعني بالعميقة، فهو كتب كتابا لكنه لم يكتب كتابا، بمعنى أنه كتب كتابا، إذا ما قرأته لا تجد نص الكتاب، وإنما تجد عناوين فقط، تلزمك بفتح باب الاجتهاد على مصراعيه لفهم مقصد المؤلف. فمهما كانت قراءتك لمتن الكتاب، ومهما كان فهمك لهذا المتن، فأنت في شك دائم واتهام متواصل لعقلك وفهمك وملكة التمييز فيك، علك توصلت إلى نتيجة مخالفة لمقصد الكاتب الذي بقي سرا مكتوما.

ويرجع سبب ذلك إلى اقتفاء الكاتب لطريقة البخاري في مصنفه، حتى أنه قيل:
"وكما قيل: فقه الإمام البخاري في تراجمه وأبوابه، وفقه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في

كتاب التوحيد في تراجمه ومسائله." وهذا الحكم بعيد عن الصحة من وجه واحد على الأقل، وهو:

قصد البخاري في كتابه جمع عدد من الأحاديث النبوية، ويظهر تدخّله في تصنيفها وإيراد الأبواب لها، مع إضافة مقدمات لها في بعض الأبواب، وهذا يظهر عصاره فقهاء الرجل أي استنباطه. فإذا ما أردت تجريد الكتاب من فقه الرجل، والاكتفاء بالأحاديث النبوية، لا يطالبك أحد بالتمسك بفقه البخاري وبتخريج الأبواب والكتب فيه، بل إن المتن، الذي هو الأحاديث النبوية، والذي هو أصل الكتاب والغرض من إحداثه، لا يسقط بأيّة حال، ولا يخالطه شبهة. وبالتالي فإنك لست ملزماً بأخذ مقصد المؤلف الذي هو البخاري.

أمّا في مثالنا الحالي، فإن محمد بن عبد الوهاب، ظنّ أن أسلوب البخاري جائز له في استعماله في تصنيفه، فقلّده من حيث أن التقليد قد أضرب به، فوقع في الإشكال والمتشابه والفتن. فكتاب التوحيد متنه هو الاستنباط، فلا يستطيع القارئ تجنب استنباط الرجل وتدخّله في الآيات والأحاديث، لأنها هي أساس الكتاب، وجوهره. فإذا ما أردت أن تفعل نفس ما فعلته بصحيح البخاري، فتكتفي بالمتن دون تدخل المؤلف، فإنك لا تستطيع ذلك.

فالبخاري جعل استنباطه عناوين فقط لأنها على هامش المتن الذي هو واضح كلّ الوضوح، فمن فهم مقصده واستنبط منه فقهاً فياً حبّذا، ومن عزف عن ذلك، فلا مضرة في ذلك، فإنه يكتفي بالمتن فقط، أي أحاديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. أمّا محمد بن عبد الوهاب، فإنه جعل المتن كلّ استنباطاً وعناوين، فإذا ما تخلّصت منها لم يبق لك شيء من الكتاب سوى بضع آيات وأحاديث، لك أن تفسرها كما فعل المفسّرون دون الالتزام بمقصد المؤلف.

لذلك قلنا أن كتاب المؤلف غير موجود، لأن قصد المؤلف غير واضح، فما ثمّ إلا عناوين ورؤوس أقلام.

وحتى يفهم القارئ صعوبة ما واجهناه في فهم كلام المصنّف، نقول: المصنّف ابن عبد الوهاب اختار لكلّ فصل عنواناً، ولا نعلم سبب تقديمه لفصل على آخر، فقصدته سرّاً مكتوم، كذلك اختياره للآيات والأحاديث في كلّ فصل يرجع إلى سرّ في قلب المصنّف، نجعله كلّ الجهل، خاصّة وأنّه يورد الآية التي يختارها ويقف عند اللفظة التي يختارها منها، ولا ندري لماذا هذا الاختيار، ولماذا الوقوف عند هذا الحدّ؟؟ وقد كان بالإمكان اختيار آيات أخرى، وكذا في الأحاديث، ولكننا نستسلم لمقصد المؤلف الذي بقي مجهولاً طيّ الكتمان. ونفس الأمر في استنباط المسائل، فإنه لا يعلم عن كيفية شيء، كلّ ذلك اختفى مع المؤلف رحمه الله.

وقد يقال لنا: إن المصنّف درّس الكتاب لطلابه وشرحه لهم، فنجيب: أين هذا الشرح؟؟ وأين هذه الدروس؟؟ ومن أين نعلم مقاصد المؤلف إن لم نسمعها منه؟؟ ثمّ ماذا عسى طلاب علم صغار أن يقولوا لسيّدهم، وهو يدرّسهم كتاب التوحيد؟؟ فإذا كان فطاحلة المذهب الوهابي إلى الآن لا يفهمون بالضبط مغزى الشيخ ومقصده حول مسائل معيّنة، فما بالك بطلاب علم؟؟؟

وبعد كلّ هذا الجهل بمقاصد المؤلف، يقول لك: اتبعني وتعلّم منّي التوحيد، وإذا ما خالفني فإنك مشرك كافر.

كيف أتبع رجلاً، كتب كتاباً، لا نعلم كم باباً فيه، ولا معنى أبوابه، ولا متى كتبه أصلاً، لأن صاحبه فضلّ أن يجعل ذلك سرّاً من أسرار الله؟؟؟.

قال عليّ بن خضير الخضير، الشارح، حول عدد أبواب كتاب التوحيد:

المصنّف قال كتاب التوحيد ثم سرد الآيات ولم يقل باب، في حين أن الذي بعده قال باب فضل التوحيد، فأيهما الباب الأول هذا أم باب فضل التوحيد؟ وهذا هو سبب الخلاف في عدد أبواب كتاب التوحيد، هل هذا الذي معنا هنا هو مقدمة وما بعده هو الباب الأول أم هذا هو الباب الأول، ولأقرب من صنيع المصنّف أنه اعتبر هذا هو الباب الأول وباب فضل التوحيد هو الباب الثاني فقد قال في تاريخ نجد ص ٤٠٨ (في رسالة كتبها إلى بعض طلابه تكلم فيها عن تفاضل الناس في التوحيد والعلم،

فقال: إن هذه المسألة من أكثر ما يكون تكرارا عليكم وهي التي بَوَّب لها الباب الثاني في كتاب التوحيد) اهـ والباب الثاني هو الذي فيه ذكر التفاضل"
ويقول حول الاختلاف في معنى الفصل الأول:
" ما هو قَصْدُ المصنّف من هذا الباب؟

تكلم الحفيد سليمان في ص ٥٠ من كتاب التيسير في قصد المصنّف من هذا الباب فقال: (ولما ذكر المصنّف معنى التوحيد ناسب ذكر فضله وتكفيره للذنوب). اهـ وعلى ذلك فالحفيد سليمان يرى أن الباب الأول بَوَّب لبيان معنى التوحيد، أما الحفيد الثاني والشيخ حمد فلم يذكر ما ذا قصد المصنّف من هذا الباب حسب علمي، لكن الذي يظهر لي أن المصنّف لم يقصد هذا المعنى الذي اختاره الحفيد سليمان."
ثم يقرّر الشارح:

"وإنما أراد المصنّف أن يبين عظم شأن التوحيد وبيان أهميته ومكانته ومن ثم يمكن أن نقول إن قصد المصنّف من هذا الباب هو (بيان مكانة التوحيد وأهميته وعظم شأنه وحكمه)".

وحول تاريخ كتابة الكتاب، يقول الشارح عليّ بن خضير الخضير:
" اسم الكتاب بالكامل (كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) والمشهور تسميته على الاختصار باسم: كتاب التوحيد.

وقد ألّفه الشيخ رحمه الله بعد وفاة والده في بلدة حريملاء بعد عام ١١٥٣ هـ (تاريخ نجد ص ٨٤) وذكر الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مجموعة الرسائل (٣ / ٣٨٠) أنه ألّف كتابه التوحيد في حريملاء، ولعل هذا هو التّأليف الرسمي الذي أظهر فيه الكتاب، أما تأليف الكتاب كمسودة وبداية فقد كان قبل ذلك في مدينة البصرة، قال الحفيد عبد الرحمن في رسالته في الرد على عثمان بن منصور في الدرر السنينة (٩ / ٢١٥): إن جده ألّف في مدينة البصرة كتاب التوحيد الذي شهد له بفضله وبتصنيفه القريب والبعيد، أخذه من الكتب التي في مدارس البصرة من كتب الحديث اهـ ففي البصرة بداية التّأليف ثم أظهره في

حريملاء رسمياً ودرسه وشرحه لطلابه هناك معلنا بداية دعوته السلفية المباركة. وراجع منهاج التأسيس ص ٩.

نعم، قد يستغرب القارئ من هذا الكلام، ولكنّه حقيقة مرّة، لا يذكرها الشراح بكثرة، وإذا ما مرّوا بها مرّوا كراماً، وعدّوها من عبقرية الشيخ ومن فضائل علمه الغزير. ولو أن مجموعة من العلماء لا يعرفون كتاب التوحيد، أمددناهم بنصه، على ما هو عليه، بلا شرح ولا مقدّمات، ثمّ طلبنا منهم تقيّمه، لظنوه مسوّدّة طالب علم لم يرتق إلى الدرجة النهائيّة، ولأبرزوا لنا من الأخطاء ما يندي لها الجبين، ولما استحق هذا النصّ عدداً مشرفاً يؤهله للارتقاء؟؟.

نحن لا نقول هذا الكلام من باب الافتراء على الرجل، بل لأننا قرأناه، وبجثنا عن فهم له، ولم نرد فهمه بعقولنا وبوسائلنا، وإنما بجثنا عن أقرب الناس له الذين فهموه، وشرحوه، فاستفدنا منهم، وقلنا: نحن فهمنا الفهم الذي أراد الشراح لنا. ولم نكتف بذلك، بل إننا بجثنا عمّن يجزم لنا أنه عرف نيّة المؤلف وقصده، حتى يكون نقدنا له لا لفهمنا عنه.

وقد منّ الله علينا بكتاب عنوانه: "الجمع والتجريد في شرح كتاب التوحيد للشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب رحمه الله القسم الأول - لجامعه فضيلة الشيخ: علي بن خضير الخضير، عفى الله عنه وعن والديه وأهله ومشايخه وطلابه وجميع المسلمين - القصيم - بريدة، قدم له فضيلة الشيخ العلامة: حمود بن عقلاء الشعيبي، حفظه الله ورعاه، وقف لله تعالى على المستفيدين منه، لا يتجر به ولا يتكسب من ورائه.

ومحتوى هذا الكتاب: معالجة القسم الأوّل من كتاب التوحيد، الذي يقول عنه

الشارح:

"الكتاب الذي سوف نشرحه إن شاء الله كتاب التوحيد وطريقتنا في الشرح أو

خطة الشرح هي:-

الأصل في الشرح على كتاب تيسير العزيز الحميد لحفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وهو سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله؛ وإذا كان هناك

إضافات وزوائد أضيفناها من كتابي الحفيد الثاني وهو عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (كتاب فتح المجيد، وكتاب قرّة عيون الموحدين) ثم كتاب الشيخ حمد بن علي بن عتيق رحمه الله واسمه إبطال التنديد، هؤلاء الثلاثة وهم الحفيدان والشيخ حمد رحمهم الله أحسن من شرح كتاب التوحيد.

مع ملاحظة أنني إن شاء الله سوف أضيف كلام المصنف رحمه الله نفسه مما هو موجود في الدرر السنية أو كتاب تاريخ ابن غنام ترتيب ناصر الدين الأسد أو مما في رسائل المصنف مما هو شرح أو تفصيل أو تقييد لكلامه هنا، وهذا مهم جدا ويساعد على شرح كلام المصنف بكلامه نفسه في المواضيع الأخرى، وأحسن الشروح أن تشرح كلام الشخص بكلامه الآخر، لأنه أدري بكلامه من غيره، وبما أنه جمع لكلام المصنف من هنا وهناك وجمع لكلام طلابه وجمع للقضايا المعاصرة وجمع للمذكرة المتداولة التي يسر الله لي فيها شرح كتاب التوحيد، لهذا فقد سميتّه الجمع على تقصير مني وضعف ثم حرصت حسب فهمي واجتهادي أن أجرد و أرتب الكلام وأهذبه فكان اسمه الجمع والتجريد، وهناك معنى آخر لكلمة التجريد أي أننا جردنا الكتاب في مسائل التوحيد والعقيدة فقط دون مسائل الفقه ونحوها.

والسبب في اختيار الشراح الثلاثة: أنهم أقرب الناس ممن أَلّف في شرح التوحيد لفهم مقاصد المصنف ، لأنهم إما دارس على الشيخ محمد بن عبد الوهاب مباشرة مثل الحفيد عبد الرحمن فقد درس عليه كتاب التوحيد من أوله إلى آخر أبواب السحر قال الشيخ عبد الرحمن في قرّة عيون الموحدين ص ٤٦ (قال : قال شيخنا) يقصد جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهذا نص صريح أنه درس على جده .

وإما دارس على طلاب وتلامذة الشيخ محمد رحمهم الله أمثال الحفيد سليمان، وهذا هو المشهور حتى إن الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم رحمة الله عليه وعلى والده في مقدمة كتاب تيسير العزيز الحميد لم يذكر من مشايخه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ويرجح هذا القول أنهم ذكروا أن مولد الشيخ سليمان عام ١٢٠٠ هـ أي قبل وفاة جده بست سنين، ولكن الحفيد سليمان ذكر في الباب الأول ص ٤٤ قال:

هكذا أثبت بخط شيخنا اهـ والضمير يعود للمصنف، مما يُشعر أنه درس على الشيخ محمد فقد يكون أنه درس على جده مدة وجيزة حيث أعطاه الله من التمييز المبكر ما يصح معه أن يقال أنه درس على جده والله أعلم .

أو درس على تلامذة تلامذة الشيخ محمد رحمهم الله أمثال حمد بن عتيق الذي يُعتبر من الجيل الثالث من أجيال هذه الدعوة السلفية المباركة وقد فهموا مقاصد المصنف وهم أقرب الناس لفهم مراد المصنف ومقاصده.

والشيخ سليمان وهو الحفيد الأول كما ذكرنا أعلاه ممن درس على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وإضافة على ذلك تعلّم على أيدي طلاب الشيخ محمد رحمهم الله، وقد ألّف كتابين في شرح كتاب التوحيد ، الكتاب الأول هو تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد، إلا أن هذا الكتاب لم يتمه المصنف وقد بقي عليه سبعة أبواب في آخر الكتاب تقريباً، أما ستون باباً فقد شرحها.

وميزة شرح الشيخ سليمان أنه محدّث ولديه معرفة في علم الحديث والرجال والتصحيح والتضعيف وله اجتهاد في هذا الباب، وهذا مما جعل هذا الكتاب له ميزة أخرى في معرفة الصحيح والضعيف في باب أحاديث كتاب التوحيد.

الكتاب الثاني لسليمان وهي حاشية على كتاب التوحيد لكن هذه الحاشية تعتبر مفقودة لكن ذكر محقق كتاب فتح المجيد د. الوليد بن فريان أن الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله حدّثه أنها قرأت عليه منذ وقت بعيد في بلدة الدّلم.

وقد أسّشهد سليمان رحمه الله وهو شاب وعمره ٣٣ سنة تقريباً.

أما عبد الرحمن وهو الحفيد الثاني فقد ألّف كتابين: الأول فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد ويعتبر تلخيصاً لكتاب التيسير وتهدياً ومكماً له وزائداً عليه، فقد زاد فيه فوائد ومباحث ولذا ما زاده عبد الرحمن مما يحتاجه سوف نذكره إن شاء الله، والكتاب الثاني قرّة عيون الموحدين وهو كتاب مختصر أشبه ما يكون بالحاشية.

أما كتاب الشيخ حمد بن علي بن عتيق فأسمه إبطال التنديد بشرح كتاب التوحيد وهو يعتبر شرحاً مختصراً ذكر فيه منقولات من كتاب الشيخ سليمان (فغالب

ما فيه نقلها من كتاب التيسير) كما ذكر ذلك في مقدمة كتابه، وأهمية كتاب ابن عتيق تأتي من حيث أنه ينقل الأمور المهمة من كتاب التيسير.

ومن هنا نفهم أن كل الكتب تدور على كتاب الحفيد سليمان ما بين مختصر له أو مهذب له أو ناقل منه أو زائد عليه.

أما طبعات الكتب فكتاب التيسير طبعة مكتبة الرياض وكتاب فتح المجيد بتحقيق محمد حامد الفقي رحمه الله طبعة دار الكتب العلمية "السابعة" عام ١٣٧٧ هـ وكتاب قرة عيون الموحدين ضمن مجموعة التوحيد طبعة مكتبة الرياض ، وكتاب إبطال التنديد الطبعة الثالثة مكتبة التوفيق بالرياض ، وتاريخ نجد ط دار الشروق تحقيق ناصر الدين الأسد.

وإنّ اختيارنا للاعتماد على هذا الكتاب لنقد مصنّف ابن عبد الوهاب، يرجع إلى كونه شرحاً يجمع أهمّ الشروحات التي تعتبر قريبة من المصنّف، من ناحية، ولاعتبار اهتمام الشارح الخضير بمسألة قصد المصنّف، من ناحية أخرى، فهو يقول في كتابه:

"نحن أمام أمور لا بد في شرحنا لهذا الكتاب من مراعاتها ومن أن نفهم ماذا أراد المصنّف بالضبط، ثم ماذا قال الشراح، وهل هو مطابق لمراد المصنّف أم زائد عليه أم بعيد عنه أم مرجوح، ثم أصل المسألة كيف تُشرح بغض النظر عن كونها في هذا الكتاب أم غيره، وهذا يسبب لنا أحياناً إطالة".

لذلك، إذا ما وردت لفظة: المصنّف، فإننا نعني به الشيخ محمّد بن عبد الوهاب. وإذا قلنا: الشراح، فإننا نعني: الشراح الثلاث الذين اعتمد عليهم الخضير، وهم: حفيد الشيخ: سليمان بن عبد الله بن محمّد بن عبد الوهاب، والحفيد الثاني: عبد الرحمن بن حسن بن محمّد بن عبد الوهاب، والشيخ حمد بن علي بن عتيق.

وإذا قلنا الشارح، فنعني به: عليّ بن خضير الخضير.

هذا من ناحية الإصطلاح، أمّا من ناحية المنهج، فإننا لما قرأنا كتاب الجمع والتجريد، استخرجنا منه مجموعة من المسائل التي رأينا أنها تمسّ العقيدة وتختلف في فهمها مع الشيخ محمّد بن عبد الوهاب، وفصّلناها على فصول في كتابنا.

وقد ابتدأنا في كلِّ فصل بإدراج نصٍّ أو نصوصٍ مستخرجة من كلام الشارح الخضير، تبين مجموعة نقاط المسألة المتعلِّق بها الفصل، ثمَّ نلخصها بتبسيط فحواها، ثمَّ في التعليق نقوم بالبحث عن صدقيّة المسألة من وجهة نظر ابن عبد الوهاب، ونردّ عليه بما يليق في هذا المقام.

وبعد أن أنهينا الفصول النقديّة، ارتأينا أن نلحق بالبحث، فصلا هامًا يتعلّق بإيراد مجموعة من الأقوال والتعريفات والحكم المتعلّقة بمصطلحات وردت في البحث، وكانت مدارا للنقد والنقاش والاختلاف، منها أقوال أوردناها ضمن البحث، ومنها خلاف ذلك. وهذا الفصل مأخوذ من موسوعة أكبر وأشمل، نحن بصدد جمعها، وتهمّ أكثر من ألف ومائتين من المصطلحات الدينيّة، تحت كلِّ مصطلح مجموعة من الأقوال والحكم التي جمعناها من مراجع معروفة مثل كتاب الإحياء وطبقات السلمي وصفة الصفوة.

وغايتنا من هذا الكتاب: أن نبين لمن شرح الله له صدرا، أنّ دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب، لا تعدو إلا أن تكون أفكارا ظنيّة وهميّة خياليّة، لا ترقى إلى مقام الحقيقة والتحقق، وسوف يعاين القارئ، بالدليل والبرهان، هذا الحكم، بل إن القارئ سوف يلاحظ بالدليل أيضا أن الشيخ وشراحه، كثيرا ما يدعون إجماع السلف حول كلامهم، والحقيقة خلاف ذلك، فلا إجماع للسلف، ولا اتفاق بين أفكارهم وأفكار السلف. وإنه كثيرا ما يستشهد المصنف بآية، فلا تجد إليها سبيلا من الشرح والفهم يوافق مقصده، فالآية في وادي، وفكرته في وادي آخر.

وقبل هذا وذاك، نعرّج على ثلاث نقاط لم نطرحها في الفصول، تعريجا سريعا. أولا: في بعض الأحيان يذكر المصنّف آية، ولا يستنبط منها آية مسألة، وهذا ما يجعل الشارح يتعجّب منه. يقول الخضير:

أما تفسير قوله تعالى (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) فقد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بأن الظلم هو الشرك.

قوله (أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) عند المتأخرين هذا هو الفضل الموجود في الآية أن الموحد له الأمن والاهتداء، وهذه الآية لم يظهر لي أن المصنف استخرج عليها مسائل وهذا أمر ملفت للنظر على خلاف عادة المصنف، وله دلالة: أنه أراد منها من الفوائد مثل ما أراد من غيرها، وهو تكفير الذنوب، ولم يرد منها شيئاً مستقلاً، إنما أراد أنها تحقق الأمن والاهتداء الذي هو نتيجة تكفير الذنوب.

ثانياً: يعتمد المصنف على أحاديث ضعيفة، أو مختلف في صحتها، وقد كان بإمكانه اللجوء إلى الصحيح منها. يقول الشارح الخضير:

الحديث الثالث :

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قال موسى يا رب علمني شيئاً أذكرك أدعوك به. قال: قل يا موسى لا إله إلا الله قال: كل عبادك يقولون هذا. قال يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأراضين السبع في كفه، ولا إله إلا الله في كفه مالت بهن لإله إلا الله) رواه ابن حبان والحاكم وصححه.

المسألة الأولى: تخريج الحديث:

المصنف يصحح هذا الحديث ومثله الشراح الثلاثة وقد أقر الحفيد سليمان في التيسير ص ٧٣ تصحيح ابن حبان والحاكم، وهناك من أهل العلم من يضعف هذا الحديث لأنه من رواية أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه، وأبو السمح هو دراج بن سمعان ضعيف في أبي الهيثم. علماً بأن الحديث له شاهد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما رواه أحمد هذا ما يتعلق بتخريج الحديث والخلاف الذي وقع في تصحيحه.

ثالثاً: اعتماد المصنف على الحديث الموقوف، وتعسف الشراح في جعله مرفوعاً، والأدهى أن الخضير نفسه يتعسف ويجعل المسألة اجتهادية. يقول الشارح الخضير:

"قال ابن مسعود: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد (صلى الله عليه وسلم) التي عليها خاتمة فليقرأ: قوله تعالى (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً) إلى قوله (وأن هذا صراطي مستقيماً) الآية.
وفيه مسائل:

المسألة الأولى: تخريج الحديث: وهذا الحديث في الاصطلاح موقوف وهو قول الصحابي، وهذا الحديث لم يرفعه ابن مسعود فلم يقل ابن مسعود قال: قال رسول الله. لكن ظاهر صنيع المؤلف أنه موقوف في حكم الرفع، والحفيدان يميلان إلى تصحيح هذا الأثر الموقوف.

بل حتى المصنف يصحح هذا الأثر بدليل:

١- أنه ذكره بصيغة الجزم وقال: قال ابن مسعود والغالب على أهل العلم بصيغة الجزم أنه مقبول عندهم.

٢- أن المصنف أستخرج عليه مسألة فبنى عليه أحكام، وبنية الأحكام فرع التصحيح، وأيضاً صاحب التيسير ص ٤٥ نقل تحسين الترمذي لهذا الحديث. وهناك من أهل العلم من ضعف الحديث، فالمسألة اجتهادية ونمشي على اختيار المصنف، ولكن لفظ الترمذي فيه اختلاف يسير.

واستخرج مسألة على هذا الحديث (وقال التنبيه على وصية الرسول عند موته) وهي الحث على التوحيد والنهي عن الشرك. ومناسبة هذا الأثر يدل على عظم وأهمية التوحيد لأن الرسول أوصى به عند موته ولا يوصي إلا بالشيء العظيم لا سيما في آخر اللحظات.

وتعليقاً على هذا الكلام، نقول: ما ذكره الشارح من أدلة تصحيح الحديث من قبل المصنف ليس مقبولاً على الإطلاق، لأن المصنف ليس حجة في الحديث، وليس له تخريج لهذا الحديث، وذكره للحديث بصيغة الجزم ليس شرط صحة للحديث، وإلا، فإن كل واحد منا يمكن له أن يستدل بأي حديث غير صحيح، ويذكره بالجزم، فنقول له: ما دمت ذكرته بصيغة الجزم فأنت قد صححته، ونحن نقبل منك هذا التصحيح؟؟؟.

ونفس الشيء في مجال بناء الأحكام على الحديث، ليس هذا شرط صحة في الأحاديث إلا إذا صدرت من أهل الحديث المشهود لهم بالكفاءة في علوم الحديث، والشيخ ابن عبد الوهاب ليس من هؤلاء، وهو قد خالف أهل العلم في تضعيفهم للحديث، وهو ليس بعالم مثلهم، ولا حجة للخضير بأن يقول: المسألة اجتهادية، لأن الاجتهاد يكون من أهل العلم، والمصنف ليس من أهل العلم في هذا المجال. وعلى كل، فأهل العلم بين قولين: فالحديث إما ضعيف أو موقوف، فمن أين صححه المصنف؟؟.

وفي الأخير، لا يسعنا إلا أن نطلب من الله العليّ القدير أن يرحم ويغفر للشيخ محمد بن عبد الوهاب للفتنة التي وقع فيها، وأوقع فيها الملايين من المسلمين، حتى أنه، هو من اتبعه من الشراح وأئمة الدعوة النجدية، يجعلون كافة المسلمين من كل المذاهب مشركين وجب قتلهم، لأنهم لا يوافقونهم آراءهم وأفكارهم. لذلك كان همنا أن نبين بموضوعية زيف الدعوة الوهابية من خلال هذه الفصول:

الفصل الأول: مفهوم العبادة في فكر ابن عبد الوهاب، وفيه بيان زيف الادعاء بأن للعبادة مفهوما عاما لأهل العلم، والردّ على مقولة: العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه. وذكرنا في معرض ردنا على المصنف أربعين تعريفا للعبادة من أهل العلم والعرفان.

الفصل الثاني: مفهوم الطاغوت في فكر ابن عبد الوهاب، وفيه بيان أن عقيدة الكفر بالطاغوت وربطها بالتوحيد وجعلها ركنا من أركان التوحيد، من استنباطات ابن عبد الوهاب، ومن وهمه وخياله، ولم يسبقه أحد من العلماء بها، لا المفسرون، ولا السلف ولا حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثالث: مفهوم القضاء في فكر ابن عبد الوهاب، وفيه بيان معنى قضى في آية الإسراء، والردّ على المصنف والشراح في تفسيرهم لمعنى: قضى، وبيان زيف كلامهم الذي يؤدّي إلى الطعن في القرآن الكريم.

الفصل الرابع: عظمة التوحيد في فكر ابن عبد الوهاب، وفيه بيان إخفاق ابن عبد الوهاب في اختيار الآيات والأحاديث الصالحة لهذا الباب، وتعتقه في التأويل.

الفصل الخامس: مدلول نصوص الوعد في فكر ابن عبد الوهاب، وفيه بيان زيف ادعاء القوم بأن نصوص الوعد لا تشمل إلا الكاملين فقط، وبيان شمولها لكل المسلمين بإذن الله، وبيان أن معنى دخول الجنة هو عدم الخلود في النار.

الفصل السادس: تحقيق التوحيد في فكر ابن عبد الوهاب، وفيه بيان جهل ابن عبد الوهاب وشراحه لمعنى التحقق في التوحيد وعدد مراتبه، والردّ عليهم بكلام العارفين بالله.

الفصل السابع: مسألة تكثير السواد في فكر ابن عبد الوهاب، وفيه بيان خيال ابن عبد الوهاب ووهمه، وأنه لا علاقة للآيات التي اختارها بالموضوع، ولا تعدو المسألة أن تكون وهما وخيالاً.

الفصل الثامن: مفهوم التوسّل في فكر ابن عبد الوهاب، وفيه بيان زيف تعريفهم للوسيلة، وكذبهم فيه، وبيان المعنى الحقيقي للوسيلة، وجواز الاستغاثة بالله وبأوليائه الله، من باب الولاية لله.

وفي الأخير، نستغفر الله تعالى من كلّ سهو ووهم وخطأ وقعنا فيه أثناء بحثنا، ونسأل الله تعالى أن يكون عملنا هذا خالصاً للنية، نبتغي به وجه ربنا الكريم. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

محمد الصالح الضاوي

تونس فاذاي الحجة - المحرم ١٤٣٠ - ١٤٣١